بعد انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية التي انضوت تحت رايتها زهاء ثلاث قرون من الزمن، ما فتأت أن تعرضت لحملة فرنسية استعمارية في جويلية 1830م وقد ادعى الفرنسيون أنّهم جاءوا من اجل تخليص الجزائر من الاستبداد التركي، لكن دوافعهم الحقيقية كانت بلا شك استعمارية من أبعادها السياسية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية وقد أحدثت هذه الحملة الفرنسية المسيحية هزة في نظم الحياة التقليدية والرسمية التي كان بعيشها المجتمع الجزائري، فكانت رد فعل الجزائريين على هذا الفعل الاستعماري مقاومة واسعة عنيفة، استمدت روحها من المفهوم الإسلامي للجهاد والوطنية[1].

المبحث الأول: الاحتلال الفرنسي للجزائر

يرى مالك بن نبي أن نزول أي جيش أجنبي بأرض شعب ما ، يعرض هذا الشعب إمّا لإحتلال مؤقت أو لعملية ضم تجعله منضمّا بصفة نهائية تحت راية هذا الجيش المستعمر، فأمّا الاحتلال المؤقت فإنه لا يؤثر في حياة هذا الشعب إلاّ بصفة عابرة ، كمجرد حدث يخضعه مؤقتا لحاجات جيش أجنبي يفرض متطلبات من حيث الأمن والتموين على البلد المحتل، وذلك طبقا لشروط يهيمن عليها قانون عسكري ينتهي نفوذه مع تصفية الوضع الحربي، وأمّا في حالة الضّم (الإلحاق) فإن الأمور تتخذ اتّجاها آخر يؤثر في حياة هذا الشعب من الداخل حتى انه يغير أحيانا مصيره في التاريخ.

وبصورة مطلقة وعندما يقع مثل هذا التغيير فهو يظهر في صورة مجتمع جديد تكون فيه البناءات الداخلية نتيجة اندماج خصائص الشعب العنصرية مصهورة في بوتقة أسرة جديدة، وهذا الاندماج يكون أحيانا مطبوعا بخصائص أحد الشعبين أكثر من خصائص الشعب الآخر، وليس حتما أن تكون خصائص الشعب الغالبة هي ذاتها خصائص الشعب المنتصر، فالصين على وجه المثال لم تتخذ طابع الشعوب التي احتلت أرضها عبر التاريخ مثل(المغول و المندشو)، بل هي التي وضعت طابع حضارتها العريقة على تلك الشعوب[2].

---

[1] فوزية بريون، **مرجع سابق**، ص31.

[2] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، ص39 .

وغالبا ما يكون الاندماج مشتملا على خصائص الطرفين بحيث يكون تأثر كليهما واضحا كما وقع في تكوين مجتمع(السلتـي[1] ـ الروماني)، شعبان تعارفا في ميدان القتال ثم تلاحما في ميدان الحياة ، ومن هذه الاعتبارات يتصور مالك بن نبي موقف الجزائر غداة نزول الجيش الفرنسي برأس سيدي فرج ، فالجزائر في نظره معرضة للاحتمالين السابقين.

ويرى مالك بن نبي انه بعد قرن من الاحتلال تبين أن الجيش الفرنسي لم ينزل بأرضنا لاحتلال مؤقت ولا لمجرد الضم بالمعنى التقليدي للكلمتين، لان الاستعمار أدخل في التاريخ وجهة ثالثة يهدف من خلالها الى إنشاء مجتمع جديد ، ويذكر مالك بن نبي أنّ نزول الجيش الأجنبي برأس سيدي فرج سنة 1830م أعلن حالة الحرب التي دشنت الحضور الفرنسي بالجزائر ولكن عبارة (فرنسي ـ عربي)، التي صاغها هذا العهد لم يعبر عن الواقع التاريخي الذي نجده تحت عبارة (سلتي ـ روماني)، لكي يخفي به حقيقة مجتمع جديد ليس بالعربي ولا بالفرنسي فما هي إلاّ تلفيق خطابي لفقه الاستعمار) [2].

فلو اتخذنا سنة 1830م نقطة بداية لتأريخ التطور الاجتماعي لفرنسا والجزائر للاحظنا أن التطور لم يسر في البلدين في اتجاه واحد، فالشعب الجزائري يتمتع بيسر مادي أكثر من الشعب الفرنسي، فقد كان الإنتاج الزراعي وافرا في الجزائر أكثر من فرنسا، كما دلت عنه تلك الصفقات التي عقدتها الحكومة الفرنسية في عهد الإدارة مع شركة تصدير جزائرية يديرها يهوديان (بكري وبوشناق)، فقد كان الشعب الجزائري يتمتع بما ينتجه تراب وطنه الخصب، لكن سرعان ما وضع الاستعمار يده على الثمرات التي ينتجها التراب الجزائري والتي كانت تتيح العيش الرغد للشعب الجزائري كافة لان تعاليم الإسلام لا تترك عنده مجالا لفكرة (الطبقات) وما يتبعها من نتائج متناقضة، تلك المناقضات التي شوهت المجتمع الغربي الذي كان ولا يزال أحيانا يجمع بين الرفاهية المفرطة والبؤس، بين الإنتاج الراشد عن الحاجات والنقص الفظيع للغذاء [3].

---

[1] **السلت** هم الشعب الأوروبي الأول القادم من شمال الألب الذي يبرز من المجهول أطلق اسم "هالستات "على المرحلة الأولى من تاريخهم على اسم قرية نمساوية تقع قرب بحيرة ، أما المرحلة الثانية فقد استمدت اسمها من قرية بجانب بحيرة في سويسرا ، كانت حضارة السلت مهمة إلا أنهم لم يبنوا إمبراطورية ، انتشر تأثير السلت في جبال الألب منذ أيام أوروبا الوسطى الأولى.

[2] مالك بن نبي، **في مهب المعركة**، ص39.

[3] **نفسه**، ص 40.

المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي والاقتصادي

أولا : الواقع الاجتماعي

كتب مالك بن نبي عن مأساة الشعب الجزائري في رواية جدته من أمه " زليخة " كيف تركت أمها "الحاجة بايا" وعائلتها مدينة قسنطينة يوم دخلها الفرنسيون، وما تتعرض له من بطش، حيث لم تسلم لا الحرمات ولا الأعراض، ويرسم لنا مالك بن نبي صورة عما تتعرض له بنات المدينة من بطش، خاصة العائلات التي تكثر فيها الصبايا ، فلم يكن همّ هذه العائلات سوى إنقاذ شرفها، يذكر مالك بن نبي أنه بينما يدخل الفرنسيون من كوّة سور المدينة، ومن شدة تلك المضايقات كان الآباء يسرعون بتهريب بناتهم حفاظا على شرفهم [1].

ومن خلال هذا الواقع الاجتماعي المرير، نستنبط أحد العوامل التي ساهمت في جعل العائلات القسنطينية تفر من البلاد صونا لأعراضها المستهدفة، ويذكر مالك بن نبي عن نجاة جدته من أمه من بطش الاستعمار ولجوئها الى تونس رفقة عائلتها، وكذا هجرت جده من أبوه الذي اضطر الى بيع جميع أملاك العائلة، والهجرة الى طرابلس الغرب ويذكر الهجرة التي اجتاحت البلاد عام 1908 م والتي مست مدنا كبرى منها قسنطينة وتبسه وتلمسان هذه الهجرة وان كانت في ظاهرها هروبا من الواقع المأساوي إلاّ أنّها تعبر عن مكنون وهو الرفض القاطع لمعايشة ومجاورة المستعمر.

فقد هاجرت عائلات واضمحلت مثل عائلة " الباكاتاشي"(**Les bachtazi**) وعائلة " صالح باي " التي هاجرت نحو تونس وعائلة اللفغوني (**Lefgon**) ، لقد هبت ريح من الذعر على تلك العائلات العريقة التي تمكنت من إنقاذ ثرواتها من أحداث عام 1837م عام دخول الفرنسيين[2].

هذه الهجرة وما أعقبها من تحولات اجتماعية كانت تتم بمحيط مدينة قسنطينة، فقد أدخل عليها الاستعمار الفرنسي بعض العادات والأساليب الغربية، فقد بدأت المدينة تخرج عن نظمها التقليدية وعاداتها، التي ذكر منها مالك بن نبي، أنّه لم يعد يرى مالك بن نبي

---

[1] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، ص ص16- 15.

[2] **نفسه**، ص 17.

تلك الاحتفالات ومراسم الدفن واجتماعات الرقية وطرد الجن وحلقات الذكر عند الرحمانية[1] و التيجانية[2] والعيسوية[3]، كل ذلك كانت تقيمه العائلات القسنطينية في أبهة وروعة، يقول بن نبي انه لو قدر لعائلة من عائلات قسنطينة أن تبيع بيتها لتزويج ابنها أو ابنتها و إقامة المراسيم التي تليق بسمعة العائلة لفعلت[4].

كل هذه العادات بدأت بالاختفاء فقد ادخل عليها الاستعمار الفرنسي عادات داخلة وبدت بوادر استغلال الثقة والمخالفة لتقاليد البلاد العريقة في الظهور، في حين تراجعت التقاليد المحلية، فعلى الصعيد الاجتماعي فقد شاع الخمر وشاربوه، إذ أدخل المستعمرون الحانات ودور الدعارة والفساد، كما تدهور الإطار التقليدي فبعض النقابات المهنية كنقابة النساجين قد اختفت منذ بعيد، فيما ظلت بعض النقابات تقاوم قبل أن يدركها الأفول أمّا عن تبسه فقد أقام بها المستعمر ضاحية إدارية، أقام فيها وحدات مختلطة وأخرى سكنيّة لإقامة الأوروبيين من الموظفين ومعلمي المدارس الفرنسية بالمدينة[5].

---

[1] **الطريقة الرحمانية** : طريقة دينية صوفية نشأت في الجزائر في أواخر القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري (ومنه أخذت اسمها) فهي طريقة تدعو إلى الصفا وعودة المنابع الأولى للإسلام ، وقد عرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا في حياة مؤسسها ، كان تنظيمها شبيها ببقية الطرق الصوفية الأخرى فهناك شيخ أو معلم وهناك المؤيدين الذين يكنون الطاعة للمعلم ، أما عن التعريف بالشيخ مؤسس الطريقة الرحمانية فهو محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن أبي قاسم.للمزيد ينظر إلى : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان ، ط1، 1998، ص ص 139– 140 .

[2] **الطريقة التيجانية:** مؤسسها أبو العباس أحمد بن مختار التيجاني الماضوي نسبة إلى مدينة عين ماضي بولاية الأغواط ولد سنة 1737م ، وتوفي سنة1823م ، حفظ القرآن صغيرا وكذا متون الفقه المالكي ثم ولع بقراءة القشيري الجويري وللغزالي وابن عربي قبل أن نشرع في أخذ الأوراد ، وارتحل إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى وأخذ من علمائها أمثال الشيخ الطيب الوزاني، ويذهب أتباع الطريقة أن الشيخ أحمد التيجاني قد أحس بالفتح حينما كان بقرية أبي صمغون بن حسان من مدينة فاس، ثم تتلمذ على يد مولاي الطيب زعيم الطريقة الطابية ، ثم تتلمذ على يد شيخ آخر كان مقدما للناصرية محمد بن عبد الله ، ثم تتلمذ على يد الشيخ محمود الكردي بالقاهرة وتعتبر سنة **1777** بداية لنشر الطريقة الصوفية التيجانية وذلك انطلاقا من فاس المغربية للمزيد ينظر : سالم الحبيب التيجاني ، **نبذة عن حياة الشيخ محمد التيجاني** ، سلسلة الكتب التيجانية ، تغروت ، الوادي، الجزائر،1999، ص ص 2.3.

[3] **الطريقة العيسوية** :هي فرع من الشاذلية تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عيسى المتوفى عام **931** هـ / **1524**م ودفن بمكناس بالمغرب الأقصى وقد تأسست الزاوية العيسوية في وزرة سنة **1203** هـ / **1788** م على يد أحد أحفاد علال المغربي، ولقد اتخذت العيسوية طابعا يختلط فيه الجد والهزل والدين والشعوذة .للمزيد ينظر الى :أبو القاسم سعد الله ، **المرجع السابق**، ج4 ، ص80–81.

[4] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن** ، ص17.

[5] **نفسه**، ص18.

ومع اندلاع الحرب العالمية 1914م قامت سلطات الاحتلال بتجنيد أبناء المنطقة ورسم لنا مالك بن نبي صورة أمهات المنطقة وهن يرافقن أبناءهن بالبكاء ، بعد الوعود التي أطلقتها السلطات الفرنسية للجزائريين، شريطة تجنيد أبنائهم في حرب لا تعنيهم، فجند الشعب ظنا منه أن السلطات الفرنسية ستمنحه الحرية، وانقادت لهذه الوعود بعض تيارات الحركة الوطنية وبعض النخب، ليخرج في الأخير بخفي حنين من هذه الحرب، وفوق ذلك شنت عليه السلطات حملة إبادة وتقتيل يذكر بهذا الصدد مالك بن نبي :" مع نزول الحلفاء في 8 نوفمبر 1942م بينما كان جميع الطامعين في النفوذ يتآمرون بالجزائر العاصمة لم تظهر أي حركة من مسيرينا[1] ، ولكن العاصفة التي اجتاحت العالم طوال خمس سنوات (الحرب العالمية الثانية) قد فككت مفاصل الأقفال فقد كان الشعب الجزائري التي احتفظت ذاكرته ببعض نبذ من التصريحات المغرية ، التي صدرت زمن الحرب عمد الاستعمار إلى إغراقه في حمام من الدماء وغمسه في محفل خليع من الانتخابات المضللة والتي كان يرمي من ورائها صرف الجماهير الجزائرية عن وجهتها"[2].

ثانيا : الوضع الاقتصادي

جرد المستعمر الإنسان الجزائري من كل وسيلة تتيح له الارتقاء بمستوى حياته المعيشية ، وسلط عليها رقابة استعمارية، متبعا في ذلك سياسة إفقار الشعب الجزائري، فمن ناحية الأراضي الزراعية قسّم البلاد الى منطقتين تختلف قيمتهما الاقتصادية تمام الاختلاف فالمنطقة الغنية خصصها للمعمرين، أما المنطقة الثانية أي الفقيرة الصحراوية فتمركز بها السكان الأصليون، لقد رسم المستعمر الفرنسي خطا عرضيا للأراضي الجزائري ، مما يسمح له بتثبيت المستعمرات الفرنسية بشكل خاص في الجزء الشمالي حيث توجد أغنى الأراضي الفلاحية في البلاد، وكان لزاما أن يقل عدد السكان في هذا الجزء الى أقصى حد ممكن بفعل سياسة الطرد والإبعاد[3]، أمّا من الناحية التجارية فقد سيطر اليهود على كبريات الشركات التجارية لتصدير الحبوب والصوف وكذلك البنوك كلها أضحت بين أيديهم، بينما سيطر المعمرون على مقاهي المدن الكبرى[4].

---

[1] يقصد هنا مالك بن نبي الحركة الوطنية الجزائرية

[2] مالك بن نبي، **أفاق جزائرية** ، ص ص10.11.

[3] مالك بن نبي، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص36.

[4] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن** ، ص160.

أمّا في الميدان الصناعي فيذكر مالك بن نبي التدهور الذي الم بالإطار التقليدي فبعض النقابات المهنية قد اختفت مثل نقابة النساجين فيما ظلت أخرى تقاوم قبل أن يدركها الأفول[1].

المبحث الثالث الوضع الثقافي والديني

أولا : الوضع الثقافي :

لقد انشأ الاستعمار نظاما بدائيا للتعليم أسماه " التعليم الأهلي " وقد أريد به جعل الفرد الجزائري وسيلة لخدمة الاستعمار، فصار بذلك التعليم في الواقع مشروعا يهدف الى الحط من المستوى العقلي للانسان[2].

وكثيرا ما كان الاستعمار الفرنسي يتدخل في مصير الأطفال في مدارسهم فما إن يبدأ التلميذ امتحاناته في الشهادة الابتدائية حتى يصبح دون أن يشعر هدفا للجنة الممتحنين التي تقدر درجاته فإذا بهم يتآمرون عليه حتى لا يتفوق على زملائه الأوروبيين[3].

يقول مالك بن نبي (... وعلى أية حال فقد أتاحت لنا تجربة المدرسة الفرنسية طوال منتصف القرن المنصرم أن نلمس بأصابعنا على نحو ما ، وفي أكثر من مناسبة، حقيقة معينة وهي أنّ المتعلم الجزائري كان من الناحية الاجتماعية اقل فعالية من زميله الأوروبي فالعائلات كانت ترسل بأطفالها الى المدرسة لا للقيام بواجبات معينة بل للحصول على بعض الفوائد المعرفية ...) [4].

وأمّا عن الطلبة التي أتيحت لهم الفرصة بالدراسة خارج الوطن وبالضبط في المدارس الفرنسية، فكان يحصل لهم فراغ اجتماعي، يقوم هذا المستغرب بقطع الروابط التي تصله بوسط آبائه ، بحيث يكون في منأى عما يحدث في بلاده ، أو كما أطلق عليه مالك بن نبي لفظ " الانتبات الاجتماعي "، اخذ فيما بعد شكلا اتصف بالفضيحة، حيث ذكر مالك بن نبي أنّ احد العائلات الجزائرية قامت بنبذ ابنها في حوالي سنة 1930م عندما نشر كتابا أثار موجة غضب في سائر البلاد لأنّه مسّ كرامتها ، وكان يدع الأفراد الى استبدال جنسيتهم

---

[1] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن** ، ص18.

[2] مالك بن نبي، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص36.

[3] مالك بن نبي، **القضايا الكبرى** ، ص114.

[4] مالك بن نبي، **أفاق جزائرية** ، ص ص111-110.

وهذا ما يوضح نتاج المدرسة الفرنسية السلبي، يقول مالك بن نبي :" إن المدرسة لا تحل وحدها مشكلة الثقافة "[1].

و يعتبر ظهور الحركة الإصلاحية ونمو التيار الوطني السياسي قد شجع على الخوض في التفسير كما أن الحكومة الفرنسية قد تغاضت حتى تترك للمناقشة طريقها لأن نشاط علماء الإصلاح قد اظهر عجز علماء الإدارة ورجال التصوف عن مرافقة الركب السياسي والثقافي [2]، ويرجع الأمر إلى أن علم الحديث يقوم على الرواية والدراية والحفظ بينما ذهب كل ذلك تقريبا مع اضمحلال المدارس والتعليم وهجرة الأكفاء من العلماء وطغيان التصوف على حياة الناس[3].

ثانيا : الوضع الديني :

يقول الضابط والمنظر والمبشر" دوفوكو " : " إنني اعتقد بأنه إذ لم نستطع تحويل المسلمين عن دينهم وحملهم على اعتناق المسيحية ، فان النتيجة الحتمية هي تكوّن روح قومية جديدة تؤدي إلى طردنا من الإمبراطورية الاستعمارية في شمال إفريقيا...إن السبيل لعدم طردنا من هذه الإمبراطورية هو إن نجعل سكان البلاد فرنسيين ، والسبيل الوحيد لذلك هو جعلهم مسيحيين"[4]، ولفهم الحياة الدينية لابد من إلقاء نظرة على المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 الميلاديين.

1/ المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 – 20 م

بدأت المؤسسات الدينية تظهر في الجزائر منذ القرن السابع للميلاد، عندما وصل إليها الإسلام، وكان المسجد النواة الأولى لهذه المؤسسات ثم ظهرت بالتدريج المؤسسات الأخرى شاركته في رسالته وخففت عنه بعض الأعباء وهي المساجد والكتاتيب القرآنية والزوايا [5].

---

[1] مالك بن نبي، **أفاق جزائرية** ، ص111.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، ص30.

[3] **نفسه** ، ص35.

[4] رسالة بعثها المبشر دوفوكو إلى صديقه الدوق " فيتس جيمس " سنة 1912م منشورة بجريدة لوموند الفرنسية بتاريخ 1956/05/17م للمزيد ينظر الى: مقدمة كتاب مالك بن نبي ، **مذكرات العفن**.

[5] عنتر نايلي، **الحياة الثقافية والدينية بالجزائر (1900 ــ 1930)** : مذكرة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، إشراف : خير الدين شترة، قسم العلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، 2012 ـ 2013، ص99.

أ/ **المساجد** : وظيفتها الأساسية قيام المسلمين بأداء الصلوات وتحفيظ القران الكريم وتعلم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية وتعرف شؤون الناس وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية.

ب/ **الكتاتيب القرآنية:** وظيفتها تحفيظ القران الكريم للأطفال وترتيله لهم ، وقد دعت الحاجة لتأسيسها من اجل تجنب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم والاحتفاظ بنقاوتها وطهارتها ليجد فيها المصلون والمتعبدون جو الخشوع المطلوب في العبادة [1].

ج/ **الزوايـــــــا** : عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الإشكال والإحجام تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القران الكريم وتعليم العلوم الإسلامية وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية وإيواء الحيوانات التي تستغل في أعمال الزاوية.

أهمية هذه الزوايا :

من الناحية الايجابية: لعبت الزوايا الدينية بمختلف أنواعها أدوارا كبيرة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية بل وحتى السياسية بالجزائر[2].

من الناحية السلبية : انتشرت الدروشة والخرافات والأباطيل والبدع الدينية بين أتباعها بسبب ضيق أفقهم الفكري وعجزهم عن فهم التطورات القائمة والحركات انتشرت الخلافات والخصومات بين بعض شيوخ الزوايا لأغراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية وحول بعض القضايا الدينية الهامشية وكان للإدارة الفرنسية دور بارز في خلق الخلاف من اجل إشغال الأهالي الجزائريين عن فكرة الثورة والتحرير[3].

---

[1] عنتر نايلي، **المرجع السابق** ، ص 101.

[2] **نفسه** ، ص ص102.

[3] **نفسه** ، ص ص 102-103

يقول مالك بن نبي: " كان شأن الجزائر قبل العام 1925م ذكر مالك بن نبي أنّ الجزائر قبل سنة1925م على الرغم من إسلامها تدين بالوثنية، التي قامت نصبها بالزوايا، هناك كانت تذهب الأرواح الكاسدة، لالتماس البركات ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات) [1] وشاعت الخرافات والأوهام، وعن الجماهير التي أطلق عليها مالك بن نبي اسم أهل " الزردة " أهل " الفتنة " تلك الجماهير التي ظلت طيلة خمسة قرون من الزمن ترقص على دفّات البنادير وتبتلع العقارب والمسامير، كانت الإدارة الاستعمارية حريصة على أن تظلّ هذه الجماهير تغط في نومها حتى لا تستيقظ[2].

1/ السياسة الاستعمارية تجاه الدين الإسلامي ومؤسساته

وضع الاستعمار الفرنسي تنظيما غير مألوف للحياة الدينية الإسلامية إذ أخضعها للرقابة والسيطرة الاستعمارية لدرجة انّه أصبح يشرف على الشعائر الدينية الإسلامية مسيحي كاثوليكي، بل وتعدى الأمر أن صار تعيين الإمام والمفتي لا يتم حسب حاجات الشعب ورضاه ، إنّما حسب أغراض بوليسية، هذا التحرش بشعائر الدين ينتج عليه أحداث في غاية الفساد ، فيبث في المجتمعات إمّا خائن جاسوس أو مفت فاسد أو قاض منافق مرتشي ، وغاية الاستعمار من هذا كله أن يجعل من صورة الإسلام عجيبة[3].

أيضا ضمن سياسة الاستعمار الهادف الى ضرب الدين قام بإصدار مرسوم[4] سنة 1933م الذي ينّص على منع المساجد عن العلماء، فيذكر بن نبي أنّ الشيخ العقبي لم يتحمل فكرة منعه من الذهاب إلى المسجد، فقام بالتنديد أمام مسجد العاصمة ونشر رسالة باسم العلماء وطبع منها مئات النسخ.

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، ص102.

[2] **نفسه** ، ص28.

[3] مالك بن نبي، **شهادات حول ثورة التحرير** ، ص35.

[4] وهو مرسوم شارل ميشال الكاتب العام لحافظة الجزائر صدر سنة 1933م جاء كرد عن نشاط الحركة الصلاحية التي قادها نفر من العلماء وهو القرار الذي تضمن منع المساجد على العلماء. للمزيد ينظر الى: مالك بن نبي، **مذكرات العفن**، ص 26.

وحاربت السلطات الفرنسية الأئمة وشيوخ الزوايا ووضع حد لنشاطهم الديني والثقافي وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة ونفي الكثير منهم وشردوا إلى مناطق نائية داخل البلد و خارجه[1].

ويذكر مالك بن نبي ما حدث للشيخ " صالح بن مهنة[2] " نظرا للدور الذي لعبه في إحياء ضمائر قسنطينة وقد وصفه بن نبي بقوله "والحق أنّ هذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين إذ انه قام قومة مباركة ضد الخرافيين والدراويش غير أنّ الحكومة الساهرة على الهدوء كي لا يستيقظ النائمون عملت على إبعاده ونفيه وعاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة وفرق أمثاله حيث حولت الشيخ عبد القادر المجّاوي[3] من منصبه كمدرس من مدرسته بقسنطينة الى الجزائر العاصمة"[4].

أ/ سياسة التنصير والفرنسة

نشط المنصّرون المسيحيون الذين أصبحوا فيما بعد يعرفون بالآباء البيض لتنصير أبناء الجزائريين وبناتهم ممن استشهد أبائهم في ساحات الجهاد دفاعا عن شرف بلادهم وحريتها كما استغلوا كوارث المجاعات والأوبئة التي اجتاحت الجزائر في عهد الاحتلال كي يجمعوا الأطفال الصغار في مراكز خاصة من اجل تنصيرهم.

---

[1] مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ص117.

[2] **صالح بن مهنا** : هو صالح بن محمد بن محمد بن مهنا قرأ القرءان الكريم ومبادئ النحو والصرف والبلاغة في الجزائر ثم انتقل الى جامع الأزهر لتوسعة معارفه درس على يد مشايخ من مصر وتونس منهم الشيخ الجربي والشيخ محمد نيفر ، تولى بن مهنا إمامة المسجد الكبير بقسنطينة، قام بالتدريس وإلقاء الدروس بالمسجد والزاوية الحنصالية وكان يقضي كل أوقاته في التدريس ، للمزيد ينظر الى : ابراهيم لونيسي:**أوضاع التعليم في الجزائر في منتصف القرن التاسع عشر**، **مجلة المصادر**، ع 19،المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954 ، الجزائر ، 2009 ، ص 56.

[3] **عبد القادر المجّاوي** : ولد في تلمسان بالغرب الجزائري سنة 1364هـ /1841م ، تلقى تعليمه في المغرب في جامعة القرويين ، عاد الى الجزائر داعيا الى الله ، متخذا من التعليم طريقا لدعوته ، توفي بقسنطينة سنة 1323هـ /1913م للمزيد ينظر الى كتاب :عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1980،1، ص286 ، ينظر أيضا الى : ابراهيم لونيسي، **أوضاع التعليم .....**، **مجلة المصادر**، ع 19، المرجع السابق، ص62.

[4] مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، ص24.

شكلت وصية [1]" الأب دوفوكو pere de foucauld " كتابا يهتدي به جميع الموظفين والقساوسة الذين كانت لهم يد في شؤون المسلمين، فقد سار المبشر "دوفوكو" على خطى من سبقوه كالكاردينال "لافيجري"، كان "دوفوكو" متحرقا الى المساهمة وفقا لأسلوبه في المهمة التاريخية لبلده في المجال الاستعماري، يذكر مالك بن نبي انه مع نشاط جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا، والتي رأت النور في باريس، و شكلت في ذلك الوقت بواكير ومقدمات للعديد من الأمور وكانت تبشر بأفاق جديدة، والتي أثارت قلق وشكوك الاستعمار وشكوكه فبدا بالفعل وتزامنا مع نشاط الجمعية، عمد الاستعمار على سياسة نشر البربرية واللاتينية والفرنسة والتنصير في شمال افريقيا[2].

ب/ التدخل في شؤون خاصة بالدين الإسلامي

عملت حكومة الاحتلال الفرنسية في الجزائر على التحكم في رحلات الجزائريين الى الحجاز خاصة في موسم الحج، إذ ترى فيها مصدرا أساسيا لنقل الثقافة العربية والأفكار الإصلاحية إلى الجزائر، فاتخذت الحكومة الاستعمارية أشكالا مختلفة لتحقيق سياسة عزل الجزائر عن باقي العالم العربي من منع تام للحج أو خفض لعدد الحجاج أو وضع شروط قاسية على الحجاج، وتحاول دائما أن تدعم هذه السياسة بذرائع متعددة كعدم وجود الأمن في الطريق المؤدية الى الحجاز، أو وقاية رعاياها من تسرب مرض خطير ظهر في إحدى الدول الإسلامية، وكانت أيضا لفرنسا هدف آخر من هذه السياسة وهو خنق الاقتصاد السعودي الذي يعتمد أساسا على الحجاج الوافدين إليه والعائدات الحجية والتبادل التجاري مع الدول الإسلامية، كشف مالك بن نبي عن نفاق الحكومة الفرنسية التي كانت تمارس مضايقات شديدة على الرحلات الحجّية، وتسعى في الوقت نفسه الى تحسين صورتها لدى الرأي العام الإسلامي وتظهر لين المعاملة مع الحجاج[3].

---

[1] يعتقد دوفوكو أنّ من أسس هذه الوصية تحقيق التحول الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري،هذا فضلا عن الفضيلة المضاعفة للاستعمار"نشر الحضارة الفرنسية والخلق المسيحي"كان منفذ هذه الوصية هو المستشرق ماسينيون مضطهد المفكرين، للمزيد ينظر الى مالك بن نبي، **مذكرات العفن** ، ص26.

[2] مالك بن نبي، **مذكرات العفن**، ص26.

[3] مولود عويم، **مرجع سابق**، ص ص47-46.

3/ ظهور الحركة الإصلاحية:

وصف مالك بن نبي المأساة الجزائرية حتى 1912م بأنها لم تكن إلا رواية صامتة أو أثرا من الآثار التاريخية التي توضع في متحف، هذه المأساة التي أرّقت ضمائر الشعب الجزائري واحتوتها ملفات حكومة الاحتلال التي كانت تعلم من أمر هذه الأمة ما تعلمه حتى ظهرت الحركة الإصلاحية حوالي 1925م، حيث تحركت المشكلة الجزائرية وقد أوجدت للشعب الجزائري لسانا ينطق باسمهم وفكرة تنير لهم الطريق[1].

كان ذالك إعلان لفجر جديد ونداءات الحياة تبعث من جديد، هذه الأصوات التي استمدت ـ حسب مالك بن نبي ـ من صوت جمال الدين الأفغاني قوتها الباعثة بدأت يقول مالك بن نبي : "بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات الشيخ بن باديس، فكانت تلك ساعة اليقظة، وبدا الشعب الجزائري يتحرك وتحول النشاط الى خطب ومحادثات ومناقشات وجدل[2].

فيرى مالك بن نبي أن جمعية العلماء المسلمين عملت على إصلاح النفوس وصقلها من خلال التربية وإيجاد جيل منزه التفكير، واليها يرجع الفضل في زرع بذور الثورة في ضمير جيل كامل وبث روح التحرر وشحذ الهمم والعزائم ضمن أطر واعية، فالشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء استطاعوا أن يحركوا كل أبناء الشعب وفتحوا الطريق لتفجير الطاقات بشكل شامل يصعب على المستعمر التحكم فيه[3].

---

[1] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص22.

[2] **نفسه**، ص26.

[3] عبد الله العويسي، **مالك بن نبي حياته وفكره** ، ص34.

المبحث الرابع: الأوضاع السياسية

أولا : أسباب تأخر ظهور الحركة الوطنية:

يرى مالك بن نبي أنّ المرحلة التي سبقت ظهور الأحزاب السياسية والحركات الإصلاحية اتسمت بالحياة الخاملة والوضع البائس، حيث أن مختلف العشائر التي كانت تتقاسم حكم الجزائر كانت تعارض كل صبغة سياسية، لأنّهم كانوا يخشون ظهور زعامات جديدة تأخذ مكانتهم ونفوذهم فكانوا يتعاونون مع فرنسا لإبقاء هذا النفوذ [1].

بالاضافة الى الاحتلال الفرنسي للجزائر وما ترتب عليه من حروب كثيرة واستشهاد عدد كبير من الجزائريين ولا سيما القادة والمفكرين والمثقفين، بالاضافة إلى سياسة فرنسا الاستعمارية التي انتهجتها في الجانب الاجتماعي من إفقار، وفي الجانب الثقافي في القضاء على مراكز الثقافة والفكر العربي والإسلامي مما أدى إلى انتشار الأمية والجهل وتأخر الوعي في البلاد بالإضافة الى القوانين الاستثنائية التي سلطت على المفكرين و العلماء كلها أسباب أدت الى تأخر ظهور الحركات الوطنية في البلاد الجزائرية.

ثانيا : ظهور الحركة الوطنية وتطورها

يذكر مالك بن نبي أنّ ظهور الحركة الوطنية والأحزاب، يرجع الى نهاية الحرب العالمية الأولى بظهور الحركة الوطنية كعباس حمانة في تبسة والحاج محمد بن رحال[2] في غربها اللذين تعارفا وكونا وفدا ذهب الى باريس للمطالبة بحقوق الشعب عندما شاعت مبادئ ولسن، ثم ظهر حزب الشاب الجزائري الذي اخذ يطالب بالمساواة مع الأوربيين في الضرائب والتمثيل النيابي في المجالس العامة، ثم أسس الأمير خالد (حفيد الأمير عبد القادر الجزائري) مع مجموعة من زملائه حزب وحدة النواب المسلمين لإسماع صوت الجزائري للمسؤولين الفرنسيين، لكن هذا الحزب فشل في كل مساعيه مع سلطات الاحتلال[3].

---

[1] نعيمة بغدادي، **مفهوم السياسة والأخلاق السياسية عند المفكر مالك بن نبي**، دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجستير في النظم الإدارية، إشراف : منصور بن لرنب، قسم العلوم السياسية، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2005، ص157.

[2] **محمد بن رحال** : ولد بن رحال في 3 شوال 1277هـ/ 16ماي1857م من عائلة عريقة كان عضوا في الزاوية الدرقاوية عاصر بن رحال سياسات فرنسا التعليمية ، كان يدافع عن التعليم واللغة العربية منذ 1887م للمزيد ينظر الى : ابراهيم لونيسي، أوضاع التعليم ...، **مجلة المصادر** ، مرجع سابق ، ص ص 70 – 74.

[3] عبد اللطيف عبادة ، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي** ، عالم الأفكار، المحمدية الجزائر ،(د ط) ، (د ت ن) ص56.

توقفت هذه الحركة عن نشاطها بعد نفي الأمير خالد إلى مصر، ثم أعيد بعث الحركة من جديد باسم فيدرالية النواب المنتخبين سنة 1938 م بزعامة مثقفين جزائريين يتزعمهم "بن جلول " لكن هؤلاء المثقفين حادوا بها عن الهدف المرجو منها، فالأمير خالد حينما دعا الى المساواة بين الجزائريين والأوروبيين في الأمور السياسية فان هؤلاء المثقفين دعوا الى ذوبان المجتمع الجزائري اجتماعيا وثقافيا في المجتمع الفرنسي، معتبرين انّ هذا الاندماج هو السبيل لتحقيق المساواة السياسية، لذلك لقيت هذه الحركة رفضا قاطعا من الشعب الجزائري باعتبارها سلخا لمقومات الأمة[1].

وفي سنة 1924م سمح للأمير خالد بالإقامة في فرنسا ، فحاول استثمار الفرصة التي أتيحت له للاتصال بالجالية المهاجرة، فأسس " نجم شمال إفريقيا "، ولكن السلطات الفرنسية لم تلبث أن أخرجته من فرنسا ونفته الى سوريا التي ظل بها الى وفاته سنة 1936م تأسس النجم للدفاع عن كيان المغرب العربي وتنظيم العمال المغاربة بفرنسا وتوجيههم وتثقيفهم، وتولى رئاسة النجم مصالي الحاج، و سرعان ما شكل الجزائريون غالبية أعضاءه ليصبح جزائريا محضا، وفي سنة 1929م حلته الحكومة الفرنسية[2].

ثم عاد للظهور سنة 1933م، وعقد مؤتمرا عاما في فرنسا ، وفي سنة 1934م أعاد مصالي الحاج تغيير اسم النجم باسم " الاتحاد الوطني لمناضلي شمال إفريقيا "، وطاردت الحكومة الفرنسية مصالي الحاج فحوكم وسجن وتم الإفراج عنه، حل الحزب سنة 1937م وفي سنة 1937 م كون مصالي الحاج حزب الشعب والذي بلور فكر مصالي الحاج من النضال المغاربي الى النضال الجزائري البحت، شارك هذا الحزب في الانتخابات البلدية سنة 1937م[3].

ثالثا : موقف مالك بن نبي الحركة الوطنية

أ/ موقفه من نشاط الأمير خالد

كان الأمير خالد من ابرز الشخصيات السياسية التي حازت على إعجاب مالك بن نبي لشجاعته وتصديه للاستعمار، بطريقة لم يسبق لها مثيل في الجزائر، بالإضافة إلى شخصية عبد الكريم الخطابي الأمير الريفي الذي برهن أن الإمبراطورية الاستعمارية

[1] عبد الله العويسي، **مرجع سابق**، ص ص38.

[2] نفسه، ص 39.

[3] نفسه، ص 40.

يمكن أن تخدش، صحيح أن مالك بن نبي لم يعرف الأمير خالد إلا من خلال نشاطه السياسي وكتاباته في جريدته " الإقدام[1] " التي كانت وسيلته لإبلاغ صوته للأمة والحكومة الفرنسية في آن واحد، فكان الأمير خالد يندد من خلالها بتجاوزات الإدارة الاستعمارية وتزييف الانتخابات، بالإضافة إلى أن جريدته كانت تدافع عن حقوق الفلاحين والبطالين وعن الجريدة يقول مالك بن نبي: " كانت الإقدام تضع في فكري الموضوعات السياسية الأولى و الدقيقة، فكانت تفضح ما يصيب الفلاح من انتزاع للملكية، وتفضح تجاوزات الإدارة وسياساتها في إبقاء الجماهير الشعبية في جهل وجاهلية" [2].

كذلك كان الأمير خالد من بين المطالبين بالاستقلال داعيا الى تطبيق بنود ولسن الأربعة عشر، ولذلك أصبح الأمير خالد بطلا وطنيا خصوصا عندما كان يخوض جدالا مع " مورينو" نائب قسنطينة البرلماني الذي سعى الى تعبئة مجلس النواب الفرنسي وإثارته ضد حفيد الأمير عبد القادر " عدو فرنسا " كما وصفه الوالي العام للجزائر" تيودور ستيف" ثم انتقل الجدال بينهما الى الصحف فكان الأمير خالد يكتب ويفضح الإدارة الاستعمارية في جريدته الإقدام، أما "مورينو" رئيس بلدية قسنطينة فكان ينشر مقالاته في جريدة "الريبو بليكان"، ويقول مالك بن نبي: " أنّ قلم الأمير خالد ابلغ وأفصح من قلم مورينو" حيث كان يثير عواطف وزوابع في فكر القراء ومشاعرهم، ويذهب ابن نبي في مذكراته أيضا إلى أن الأمير خالد لم يرضى بالمنفى الذي فرضه عليه الاستعمار وكيف تحول إلى باريس ليؤسس نجم شمال إفريقيا وجريدة الأمة بمعية جزائريين آخرين في باريس[3].

ب/ موقف مالك بن نبي من مصالي الحاج

احتك مالك بن نبي بمصالي الحاج في باريس، حينما استدعاه وكلفه بكتابة مسرحية بمناسبة إعادة بعث نجم شمال افريقيا، ولِما رآه مالك بن نبي من صفات في مصالي الحاج

---

[1] **الإقدام** : جريدة أسسها الأمير خالد ، كانت تصدر في الجزائر بالغتين العربة والفرنسية ، ظهرت سنة 1919م، وتعد الإقدام من الجرائد الوطنية التي أثرت بعمق في الحياة السياسية ، للمزيد ينظر الى:أمينة ورغي، وآخرون ، **دور الصحافة الجزائرية في الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري** ، مذكرة ليسانس في التاريخ المعاصر ، إشراف :عبد الوهاب شلالي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة تبسة ،2009 ـ 2010 ، ص12.

[2] عبد اللطيف عبادة ، **صفحات مشرقة** ، المرجع السابق ، ص 57.

[3] نفسه، ص 57.

وحبه للزعامة التي كان ناقما عليها في الكثير من الأحيان حيث كان يصفها بالمرابطية الجديدة التي تقوم على تقديس الشيخ أو الزعيم ، ويصفها أحيانا أخرى بالمرض الجديد الذي سيجتاح الجزائر والذي سيبدد كل طاقاتها في الظهور والتظاهر، لقد كان حكم مالك بن نبي قاسيا على مصالي الحاج في مذكراته ، فهو يقول : " لولا تدخل مصالي الحاج في الكثير من الأمور ما وجدت الجزائر نفسها في الكثير من المشكلات "، وموقفه من مصالي الحاج جعله يفقد الثقة في النخبة السياسية وجعله يرى في الحركات الحزبية أنها المسؤولة عن تعطيل وتأخر الثورة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية[1].

ج/ موقف مالك بن نبي من فرحات عباس

حينما كتب فرحات عباس مقاله الشهير عام 1936 (فرنسا هي أنا) كتب ابن نبي ردا وهو مقال باللغة الفرنسية أرسله إلى الصحف العامة في الحقل الوطني تحت عنوان " مثقفون أم مثيقفون " قرأها حمودة بن ساعي على أسماع أنصار فرحات عباس و الطلبة في الحي اللاتيني[2].

يقول مالك بن نبي : " كنت على وعي تام بالمهزلة التي بدأت في الجزائر و من الاختلاس الكبير الذي بدأت خيوطه تظهر على مسرحنا السياسي منذ ظهرت عليه (اتحادية النواب) كما كنت أدرك أن الصراع لم يكن صراع أفكار و إنما صراع مصالح تشرف عليه السلطات العليا، متظاهرة بمقاومته أحيانا عندما تعلن غضبها على هذا العدو فرنسا، حتى يرى الشعب المغرور في تلك العداوات بطولات توجب عليه السمع والطاعة لأصحابها " أعطيّ هذا المقال للأمين العمودي[3]، لكي ينشره في جريدة " الدفاع " الا أنّه لم ينشر في ذلك الحين إذ رفض الأمين العمودي نشره في جريدة الدفاع، بحجة أنه لم يشأ تحطيم

---

[1] عبد اللطيف عبادة ، **المرجع السابق**، ص 57.

[2] نفسه ، ص 57-58.

[3] **الأمين العمودي** : ولد بواد سوف في الشرق الجزائري سنة 1890م ، بدأ دراسته بالكتّاب أين تعلم الفقه والحديث عن عمه العلامة الشيخ البشير العمودي ، ثم انتقل الى قسنطينة، وأكمل دراسته هناك، وفيها اكتسب قاعدة الشعرية فهو شاعر حضر العمودي اجتماع المؤتمر الإسلامي الجزائري، وكان بين الوفد الذي ذهب الى باريس ضمن الوفد الذي شكل عقب المؤتمر، للمزيد ينظر الى كتاب : محمد عبد القادر السائحي، **محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب** ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2،2001، ص ص 53-61.

مستقبل فرحات عباس في الحلبة السياسية و بقي المقال حتى عام 1991 م حين نشر في صحيفة مغمورة في باتنة[1].

د/ المؤتمر الإسلامي الجزائري وموقف مالك بن نبي منه

1- ظروف انعقاده

في عام 1936 م لوّحت فرنسا للجزائريين بمشروع " بلوم فيوليت " [2]، الذي ينتقد السياسة الفرنسية السابقة والذي كان من مقترحاته إصلاح مستوى التعليم، والمساواة في الحقوق مع الفرنسيين والغاء المحاكم الخاصة بالجزائريين، وقد رحب بعض السياسيين الجزائريين بالمشروع ورفضه المستعمرون الفرنسيون الذين يعيشون بالجزائر، ووقف العلماء موقف المتحفظ، ولكن المشروع رفض في نهاية المطاف من طرف البرلمان الفرنسي ورغم إخفاق المشروع إلاّ أنه فتح شهية السياسيين الجزائريين للمطالبة بالحقوق والإدماج، فكان الجزائري العادي ذو الاهتمام السياسي يعلق عضويته في الحزب الاشتراكي الفرنسي "حزب فيوليت " وهكذا تحول الوطن ـ حسب مالك بن نبي ـ الى منصة سياسية وسوقا للانتخابات[3].

كان الشيخ بن باديس وجمعية العلماء يعارضون هذا المشروع في البداية، ولكنه سعى بعد ذلك الى توظيفه ليحدث من خلاله ثغرة في قلعة التنظيمات والقوانين الفرنسية بما يفتح المجال للاستقلال، وفي هذه الظروف وعندما رأى الشيخ غلبة فكرة الاندماج على عقلية السياسيين واعتقاد "اتحادية النواب" برئاسة صالح بن جلول على أنّهم أصحاب الحق في البتّ في مصير الشعب الجزائري فدعا العلماء الى مؤتمر جزائري إسلامي [4].

تنسب فكرة عقد المؤتمر للشيخ عبد الحميد بن باديس بهدف ضم قادة الرأي في القطر الجزائري لتقرير خطة موحدة جزائرية لتحسين الأوضاع التي يعيشها الشعب الجزائري وقد اجتمع المؤتمرون بتاريخ 07 جوان1936م بنادي الترقي بزعامة السياسي بن جلول شارك في هذا المؤتمر نواب العمالات الثلاثة (قسنطينة ، وهران ، الجزائر) كما شاركت فيه كل

---

[1] عبد اللطيف عبادة ، **المرجع السابق** ، ص57.

[2] **بلوم** : رئيس الوزراء في حكومة الجبهة الشعبية و**فيوليت** : حاكم الجزائر في العشرينيات .

[3] محمد العبدة ، **المرجع السابق** ، ص ص 73- 72.

[4] نفسه ، ص 74.

الأطياف السياسية عدا نجم شمال إفريقيا، و إن كان الاختلاف حول حضور النجم فإن الاتفاق كان حول ما حصده المؤتمر باجتماع أقطاب الحركة الوطنية لأول مرة[1].

2- موقف مالك بن نبي من المؤتمر الإسلامي الجزائري

كان لانعقاد المؤتمر وقعه الخاص على مالك و طلبة الحي اللاتيني يقول :"وصلنا نبأ المؤتمر كالصاعقة التي دوى بها الحي اللاتيني... " و يقول كذلك : " و أتذكر الهزة الوجدانية التي هزتني و أنا أنقله على مائدة الطعام لزوجته "، كان بن نبي يرى في المؤتمر انتصارا للجزائريين على الوضع و البيئة التي يعيشون فيها، و انتصار على كل مساعي الاستعمار الفرنسي لإبقائه بعيدا عن المطالبة بحقوقه يقول في هذا الصدد : " كلنا متفقون على أن المؤتمر أكبر انتصار حققه الشعب الجزائري على نفسه أولا ن ثم على كل القوى التي تسعى إلى إبقائه في الوحل " ، ليخلص بن نبي إلى أنه من الصعب أن يصف وقع هذا المؤتمر على السلطات الفرنسية فيقول : " كنت واثقا أن الظرف رج الاستعمار رجا و أنه دق في معسكره ساعة الخطر "[2].

لقد رأى مالك بن نبي أنه كان على أقطاب الحركة الوطنية الحفاظ على هذا الانتصار و ما كان عليهم التوجه نحو باريس بقوله :" لكن الجزائر كانت تستطيع كسب انتصار كبير على الاستعمار بثمن غال لم تكن بعد تجيد الحفاظ عليه، إذ أنها عوضا من أن تبقى الفكرة على الأرض التي تحقق فيها نصرها نقلتها إلى أرض الخصم التي ورطتها [3].

---

[1] بلقاسم ميسوم، **التطورات السياسية في الجزائر خلال 1926-1936** ، **مجلة المصادر**، ع 19، مرجع سابق، ص ص 158- 159.

[2] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، ص366.

[3] نفسه، ص 366.

خلص هذا المؤتمر بتشكيل وفد ذهب الى باريس وقدّم للحكومة الفرنسية بعض المطالب[1]، رفضت السلطات الفرنسية هذه المطالب، وقامة بسجن بعض الأعضاء فيما انسحبت " كتلة النواب " من رئاسة المؤتمر كما تعرض أصحابه للسجن والاعتقال [2].

3- موقف مالك بن نبي من مشاركة جمعية العلماء في المؤتمر :

زار مالك بن نبي الفندق الذي تواجد به الوفد فوجد به حلقتين، حلقة المعممين (أصحاب العمائم) و بها الشيخ عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي و سي بلقاضي وحلقة المطربشين (أصحاب الطربوش) و بها بن جلول وجماعته، وانتقد مالك بن نبي ذهاب جمعية العلماء ضمن الوفد إذ يقول :" بأي غنيمة أرادوا أن يرجعوا بها وهم يعلمون أن القضية في روح الأمة لا في مكان آخر" ، كما يرى أن ذهابهم هذا و سيرهم في القافلة السياسية التي ذهبت إلى باريس جر الحركة الإصلاحية الجزائرية إلى أول انحرافها.

فيقول: " كان على الحركة الإصلاحية أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمعامع الانتخابية و معارك الأوثان و لكن العلماء آنذاك وقعوا في الوحل فتلطخت ثيابهم البيضاء و هبطت معهم الفكرة الإصلاحية فجرت في مجرى الأعراس الانتخابية الممزوجة بدم تريقه اليد السوداء لاغتيال الإصلاح ، ويضيف مالك بن نبي :" لو كان هناك شيء يؤسف له منذ سنة 1925 فإن أكبر أسفنا على زلة العلماء،كما انتقد الجمعية لتسليمهم زمام الأمور لـ بن جلول فيقول : "" إنّ الظروف السانحة وضعت العلماء أمناء على هذا الشعب فسلموا الأمانة لغيرهم لمن يضعها تحت أقدامه لتكون سلما يصعدون به نحو المناصب السياسية [3].

ومع ذالك اعتبر مالك بن نبي زلة العلماء أنها كانت نزيهة لما تتوفر فيها النية الطاهرة والقصد البريء ليضيف أن الحكومة الاستعمارية هي السبب الخارجي في تلك الخطوة المشؤومة التي خطاها العلماء نحو السراب السياسي[4].

---

[1] للإطلاع على مطالب المؤتمر **ينظر** الى **الملحق** رقم: 07.

[2] محمد الأخضر السائحي، **مرجع سابق**، ص56 .

[3] مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن** ، 367 .

[4] مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، ص 30.

من خلال هذا الفصل تتبعنا عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر وقد فسر مالك بن نبي عملية الاحتلال نتاج لفروقات اقتصادية بين البلدين، كما رصدنا ما كتبه بن نبي عن أوضاع الجزائر المترتبة عن سياسة الاستعمار الفرنسي باعتبار مالك بن نبي عاصر أوضاع الشعب الجزائري وعايشها، فوصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري من خلال مدينتي تبسة وقسنطينة، كما تتطرقنا فيه الى الحالة الثقافية والدينية للارتباط الكبير بين الثقافة والدين في المجتمع الجزائري، بحيث نجد مالك بن نبي كان ناقما عن الحالة الدنية من خلال نقده للطّرقية وحملها مسؤولية تخلف المجتمع الجزائري لتبعث الحركة الإصلاحية بظهورها أمل الخلاص في المجتمع الجزائر وكان مالك بن نبي متحمسا مولعا بها ، لنعرج الى الحالة السياسة للبلاد وظهور النخبة الوطنية ونشاطها من أجل إيصال صوت الشعب الجزائري في المطالبة بحقوقه، هذه النخبة لم يسلم بعض شخصياتها من النقد من طرف بن نبي فيما حظيت أخرى بالثناء و المدح.